

المكتبة الاشتراكية

ل. سيفال



لمحة عن  
تطور المجتمع  
منذ بدء التاريخ





# إهداء

الى روح المرحوم الطاهرة

محمد عبد الجابري

نهدي هاته النسخة الالكترونية

محمد عبد الجابري



**Brahim El Harram et Zouhair Taghia**

**Sociologie S6 - Univ Ibn Tofail**

**2012-04-04**

**Kénitra**

طبعات « دار دمشق » من هذا الكتاب

الطبعة الاولى ١٩٦٢

الطبعة الثانية مراجعة ومنقحة ١٩٦٩

الطبعة الثالثة ١٩٧١

الطبعة الرابعة ١٩٧٣

الطبعة الخامسة ١٩٧٤



*mohamed khatab*



اشتهر الاقتصادي السوفياتي سيفال في أنحاء العالم  
في العقد الخامس من القرن العشرين بكتابه عن  
« مبادئ الاقتصاد السياسي » الذي أوضح  
فيه القوانين الاقتصادية لتطور المجتمع . وقد نقلنا  
هذا الفصل من كتابه الذي درس فيه ، بدقة وبساطة  
عمليتين ، المراحل المختلفة التي مرت بها  
الإنسانية أثناء تطورها من أول عصور التاريخ  
إلى يومنا هذا ، على ضوء مبادئ الشيوعية العلمية  
التي استنبطها ماركس وإنجلز .



وقد عمدنا في هذه الطبعة الخامسة المراجعة  
المنقحة ، إلى ذكر المصادر المشار إليها في حواشي  
الصفحات في طبعاتها العربية أن وجدت ، وذلك  
تسهيلاً للمطالع العربي الراغب في التوسّع  
بالدراسة . إلا أننا لم نعتمد النصوص المستشهد  
بها كما وردت في الطبعات العربية من الكتب  
المشار إليها ، بل أعيدت ترجمة هذه النصوص  
عن اللغة الأجنبية ، طلباً للدقة . كما أضفنا  
بعض الحواشي التوضيحية ، أشير إليها بعبارة :  
( المراجع ) ، في نهاية كل منها .



المكتبة الاشتراكية

ل. سَيغال

لمحة عن

# تطور المجتمع منذ بدء التاريخ

- المشاعة البدائية
- نظام الرق
- الاقطاعية
- الرأسمالية
- الاشتراكية





## توطئة

لا يستطيع أي مجتمع أن يعيش ويتطور دون أن ينتج الأشياء الضرورية للحياة ، على كافة أنواعها . غير أن وسائل العيش لا توجد جاهزة في الطبيعة ، وعلى الإنسان أن يوجدها لنفسه بعلمه . وعندما ينتج الإنسان الأشياء الضرورية للاستعمال ، يحدث تغييرا في المادة الطبيعية ، ويحولها ويكيفها وفق حاجاته . أن الإنتاج بهذا المعنى هو فعل الإنسان في الطبيعة . ولكن الإنسان لا يعيش ولا ينتج بصفته فردا منعزلا ، بل يفعل ذلك بصفته عضوا في المجتمع . واذن فإن عملية الإنتاج تفرض وجود علاقة معينة ، لابين الإنسان والطبيعة فحسب ، بل بين الناس بعضهم مع بعض ، أيضا .

ولنأخذ على سبيل المثال مصنع نسيج . فالقطن وهو المادة الطبيعية يحول في هذا المصنع بواسطة آلات ليست بدورها إلا قوة طبيعية كيّفها وسيطر عليها الإنسان . ولكننا نلاحظ ، عدا ذلك ، أن في هذا المصنع علاقات معينة بين الناس : بين العمال الذين لا يملكون وسائل الإنتاج من جهة ، وبين الرأسمالي الذي يملك هذه الوسائل ويستغل العمال ، من جهة أخرى . ولنأخذ الآن مصنع نسيج اشتراكيا . فالقطن فيه أيضا ، يخضع لذات

طرق التحويل والصنع ، ويجري ذلك على آلات مماثلة لآلات المصنع الرأسمالي ، والعمال العاملون فيه يملكون ذات اختصاص عمال المصنع الرأسمالي ، ولكن العلاقات بين الناس في عملية الإنتاج فيه ، مختلفة تمام الاختلاف عنها هناك . فوسائل الإنتاج لم تعد قط ملكا للرأسمالي ، بل هي ملك لمجموع الطبقة العاملة ، واذن ، فليس هنا استغلال أبدا (١) . أن

(١) لا يصح الاستنتاج بأنه لا يحدث استغلال أبدا لمجرد أن المصنع صار ملكا لمجموع الطبقة العاملة ، أي لمجرد تحويل ملكية وسائل الإنتاج من ملكية خاصة إلى ملكية اجتماعية . وأن ما يقوله المؤلف في المقطع اللاحق ، حيث يشير إلى إدارة المصنع « وفق المخطط الذي تضعه الدولة البروليتارية » يساعد على إدراك هذا الأمر الهام . أما إذا كان المصنع ملكا للطبقة العاملة وكان أسلوب الإدارة فيه غير بروليتاري ، أو إذا كانت الدولة غير بروليتارية ، فإن الاستغلال واقع حتما بشكل أو بآخر .

وأن مجرد تحويل الملكية إلى ملكية عامة ( ملكية الدولة أو ملكية الشعب بأسره ) لا يعني قط إقامة علاقات الإنتاج الاشتراكية . أما استيلاء الطبقة العاملة على سلطة الدولة وعلى الإدارة الاقتصادية ، فليس هو الآخر النقطة الانطلاق في إقامة علاقات الإنتاج الاشتراكية . ولما كان المجتمع الجديد يخرج من صلب المجتمع القديم ، ولما كانت علاقات الإنتاج الاشتراكية والاختلاق الاشتراكية بناء يبنيه الكادحون بنشاطهم الواعي ، فمن الممكن تماما أن تتواجد سمات رأسمالية استغلالية ضمن المجتمع الذي يبني الاشتراكية ، بل ولا مناس من ذلك . وما دامت بعض هذه السمات باقية فيه ، فلا يمكن القول أن هذا المجتمع قد أتم التحويل الاشتراكي وأن الاستغلال قد انتفى منه .

وقد أثبتت التجربة التاريخية في البلدان الاشتراكية كافة ، خطورة السمات الرأسمالية الاستغلالية التي تبقى في المجتمع وفي الإدارة الاقتصادية وفي الدولة بعد إجراء التحويل في ملكية وسائل الإنتاج . ( المراجع )



مدير المصنع الاشتراكي الذي يدير المشروع الاشتراكي ليس مالكا له ، بل هو موظف لدى الدولة البروليتارية ، مكلف بإدارة الانتاج وفق مخطط تضعه الدولة البروليتارية . يختلف هنا تنظيم العمل عن تنظيمه في المصنع الرأسمالي ، ويقف العمال من العمل موقفاً يختلف تماماً عن موقفهم منه في المصنع الرأسمالي . ونرى من هذا ، ان الشكل الاجتماعي للانتاج ، وكذلك العلاقات بين الناس ، تختلف في النظام الرأسمالي اختلافاً تاماً عما هي عليه في النظام الاشتراكي . ان العلاقات بين الناس في عملية الانتاج الاجتماعي تسمى علاقات الانتاج . ولقد تغيرت علاقات الانتاج خلال التطور التاريخي للمجتمع الانساني ، كما تغيرت الاشكال الاجتماعية للانتاج .

لقد كانت هذه الاشكال الاجتماعية هي : المشاعية البدائية ، نظام الرق ، الاقطاعية ، الرأسمالية . واليوم يجري في الاتحاد السوفياتي الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية فالشيوعية ، انتقالاً دشنه عهده ثورة تشرين ( اكتوبر ) ١٩١٧ ، وتم فيه انتصار الشكل الاشتراكي للانتاج .

## ١ - المشاعية البدائية

لقد وجد هذا الشكل الاجتماعي للانتاج ، خلال آلاف عديدة من السنين ، لدى جميع الشعوب في أوغل عهود تطور

المجتمع البشري في التأخر ، ومن تلك الحقبة بدأ تطور المجتمع . كان الناس يعيشون اذ ذاك في حالة التوحش ، يقتاتون بما يجدونه في الطبيعة من نباتات صالحة مباشرة للاستهلاك ، كالخضار والفواكه البرية والجوز . ثم جاء اكتشاف النار ، فكان كبير الأثر جداً ، اذ سمح بإيجاد مصادر جديدة للغذاء ، فصار الناس يتغذون بالسماك والسرطانات وبعض الحيوانات المائية الأخرى .

كانت العصا ، والحجارة غير المنحوتة ، أولى الأدوات التي استعملها البشر ، ثم جاء اختراع الرمح الحجري المسنون الرفيع ، ومن بعده السهام الحجرية ، فهياً للناس نتاجاً غذائياً جديداً هو لحم الحيوانات ، فصار القنص ، الى جانب البحث عن الأغذية النباتية وصيد الاسماك ، إحدى وسائل الحياة . وقد خطا الانسان بعد ذلك خطوة كبيرة الى الامام ، حين استعمل الأدوات المصنوعة من الحجر المنحوت ، وهي التي سمحت بمعالجة الخشب كي تبني منه المساكن .

ومهما يكن من عظمة كل هذا التطور الذي قاد الانسان خلال آلاف السنين من الحياة شبه الحيوانية ، الى حياة الانسان الذي يعرف كيف يصنع قاساً من الحجر ، وكيف يبني مسكناً ، فإن الناس بقوا مع ذلك ضعافاً الى أقصى حد في الكفاح ضد قوى الطبيعة . وكان هذا الضعف يبدو على الاخص في عدم استقرار مصادر الغذاء وعدم دوامها . لقد كان الناس تحت رحمة الصدق ،



غير والقيين من انهم سيجدون دائما صيدا ومنتجات نباتية .  
ولم يكن في امكانهم ان يحلموا بآداب خاير بعض القوات ، في وقت يضطرونهم  
ان يجدوا يوما فيوما ما يتفدون به ، دون ان يستشعروا بأية  
طمأنينة على غدهم .

وكان البشر ضمن هذه الظروف مبعثرين بالضرورة : فالغذاء  
الذي كان يمكن بعد جهد ان يستخرج من ارض ما ، لم يكن يكفي  
للقيام بأود كثافة اكبر من السكان .

وكان البشر يعيشون اذ ذاك مجتمعين في قبائل مؤلفة  
من « بطون » متعددة . وكانت هذه « البطون » التي تضم مئات  
من الناس ، تشمل عائلات كبيرة تجمعها صلات القرى . اما  
التملك الخاص لادوات الانتاج فلم يكن موجودا ، وكان اقتصاد  
« البطن » يدار بصورة مشتركة ، تعاونية : أي انهم كانوا يقومون  
بصورة مشتركة بالقنص والصيد ، وبتهيئة الغذاء واستهلاكه .  
وكانت المساكن ذاتها مشتركة . ويذكر انجلز في كتابه « اصل  
العائلة والملكية الخاصة والدولة » مثال بعض جزر المحيط الهادي  
حيث يعيش حوالي ٧٠٠ من الناس ، بل قبائل كاملة في بعض  
الاحيان ، تحت سقف واحد ، وفي اقتصاد مشترك .

لقد كان هذا النظام المشاعي البدائي ضروريا للمجتمع  
الانساني ، في تلك المرحلة من التطور . فلقد كان من المستحيل  
على المجتمع ، لو عاش افراده حياة منعزلة مبعثرة ، ان يخترع  
الاسلحة والادوات البدائية ، وان يحسنها فيما بعد . ولم يستطع

الناس ان يحرزوا انتصاراتهم الاولى في ميدان الكفاح ضد الطبيعة ،  
الا بفضل حياتهم التعاونية . لقد كان اتحادهم في « بطن » مشاعي ،  
هو قوتهم الرئيسية .

لم يكن استغلال انسان لانسان آخر موجودا في المجتمع  
المشاعي البدائي ، بل لم يكن هذا الاستغلال ممكنا فيه . لقد  
كان العمل مقسما بين الرجل والمرأة ، وكان في القبيلة افراد اقوى  
من غيرهم وافراد اضعف ، ولكن لم يكن هناك استغلال .

ليس الاستغلال ممكنا ، الا اذا استطاع الانسان ان ينتج من  
وسائل الحياة ، ما يكفي له ، ولآخرين ايضا . فبهذا الشرط وحده ،  
يمكن لفرد ان يعيش عالة على عمل الآخرين . ولم يكن من الممكن  
والحالة هذه ، ان يوجد في المجتمع البدائي ، المجر على تدارك  
رزقه يوما فيوما ، أي استغلال ، وهو المجتمع الذي لم يكن  
يستطيع ان ينتج الا الضروري الصرف من الاشياء . اما الاسرى  
الذين كانت القبائل تحصل عليهم في الحرب ، فكانوا يقتلون -  
ويؤكلون أحيانا - او يقبلون أعضاء في القبيلة الأسيرة . .

لقد كان مستوى تطور قوى المجتمع المنتجة هو الذي يحدد  
ظروف النظام المشاعي البدائي . ومن الخطأ التصور ان الناس  
البدائيين هم الذين اوجدوا هذا النظام عن وعي منهم ، فلقد تشكل  
وتطور بصورة طبيعية ، ودون علاقة بارادة الناس أو وعيهم .



« أن الناس ، أثناء الاجتماع لمعيشتهم ، يقيمون فيما بينهم علاقات معينة ، ضرورية ، مستقلة عن ارادتهم . وتطابق علاقات الإنتاج هذه درجة معينة من تطور قواهم المنتجة المادية » (١) .

ولقد جاء التطور الذي حدث بعد ذلك في قوى المجتمع البدائي المنتجة - كتحسين الأدوات الموجودة ، واختراع أدوات جديدة ، وظهور تربية المواشي ، والزراعة ، واستعمال الفلزات - فأدى الى حدوث تغيير في علاقات الإنتاج وتفسخت المشاعية البدائية وفقا لذات الضرورة الطبيعية التي أوجدتها ، واخلت المكان امام مجتمع الطبقات .

## انحلال المشاعية البدائية

كان تدجين الحيوانات : وحلول تربية المواشي محل قنصها ، العامل الذي فتح عهد تفسخ نظام المشاعية البدائية . فقد عرفت القبائل ، التي كانت تعيش في اراض غنية بالمراعي ، تربية المواشي للمرة الاولى ( وكان ذلك على الاخص على ضفاف

(١) كارل ماركس : « مساهمة في نقد الاقتصاد السياسي » ، المقدمة - الطبعة العربية : مجموعة « دراسات اقتصادية » لماركس وانجلز ، دار دمشق ، ١٦٤ ، ص ٥٢ .

الانهار الكبرى ، في جنوبي غربي آسية ، والهند ، واحواض آموداريا وسيرداريا - آسية الوسطى السوفياتية ، ودجلة والفرات ) . وأضحت تربية المواشي بالنسبة لهذه القبائل مصدرا ثابتا للحليب واللحم والجلود والصوف . فكانت قبائل الرعاة بذلك تملك من الاشياء المعدة للاستعمال ما كانت القبائل الاخرى - التي لا تربي المواشي - محرومة منه . واذن فقد سجل ادخال تربية المواشي اول تقسيم اجتماعي للعمل . وقبل ذلك . كانت المقايضة بين القبائل المختلفة ترتدي طابعا عارضا ووليد الصدفة المحضة ، ولم يكن لها في حياة القبائل والبطون أي دور . ولكن تقسيم العمل بين قبائل الرعاة والقبائل الاخرى ، دشن عهد المقايضة المنظمة فيما بينها .

ثم كانت ثاني خطوة الى الامام في تطور القوة المنتجة : ظهور الزراعة ( زراعة البساتين اول الامر ، ثم النباتية . وقد أدى اختراع نول الحياكة الذي يرجع الى زراعة الحبوب فيما بعد ) ، فلقد خلقت مصادر دائمة للاغذية النباتية وقد أدى اختراع نول الحياكة الذي يرجع الى هذا العهد ايضا ، الى امكان نسج الاقمشة والثياب الصوفية ، وتعلم الناس بعد ذلك ان يصهرروا الفلزات المعدنية كالنحاس والرصاص ( اما استخراج الحديد . فقد اكتشف فيما بعد ) ، وان يصنعوا أدوات واسلحة وأواني من البرونز (١) .

(١) البرونز : خليطة من النحاس والقصدير ، شديدة الصلابة ، وتعمل اقرب كلمة عربية تقابلها بالمعنى : القلز ( بضم القاف واللام وتشديد الزاي ) . ( المراجع )



## أول انقسام للمجتمع الى طبقات

وقد كان من اثر هذا كله ، ان زادت على مقياس واسع ، انتاجية العمل ، وسيطرة الانسان على الطبيعة واطمئنانه لفعده . ولكن هذه القوى المنتجة الجديدة للمجتمع كانت قد تجاوزت حدود المشاعية البدائية .

« ان نمو الانتاج في جميع فروع - تربية المواشي ، والزراعة ، والانوال المنزلية - اعطى قوة العمل الانسانية القدرة على خلق كمية من المنتجات اكثر مما يجب للقيام بأود الانسان ، وزاد في الوقت ذاته مجموع العمل اليومي الذي يقع على عاتق كل فرد من افراد العشيرة ، أو المشاعية المنزلية ، أو الاسرة المنعزلة ، فصار من المرغوب فيه ضم قوى عمل جديدة ، فقدمتها الحروب ، وهكذا حول أسرى الحرب الى عبيد ... لقد ولد من اول تقسيم اجتماعي كبير للعمل ، اول انقسام كبير للمجتمع الى طبقتين : أسياد وعبيد مستغلين ومستغلين » (١) . كان العبيد اناسا غرباء عن « البطن » ولايشكلون جزءا منه . ولكن تطور القوى المنتجة

(١) فريدريك انجلز : « أصل العائلة والملكية الخاصة والدولة » - الطبعة

العربية : دار الفارابي ودار الكتاب العربي ، دمشق ، ١٩٥٨ ، ص ٢٥٤ .

وظهور الرق ادى الى عدم التساوي بين أعضاء « البطن » ذاته ، وبالدرجة الاولى بين الرجل والمرأة .

« كان الكسب دائما عمل الرجل ، وهو الذي يصنع ويملك الوسائل الضرورية لهذا الكسب . وكانت قطعان المواشي هسي وسيلة الربح الجديدة ، ولذلك كان تدجينها أولا ، وحراستها ثانيا ، عمل الرجل ، ولهذا كانت بالتالي ملكا له ويعود اليه ما يحصل عليه مقابلها من سلع وعبيد . كان كل ما يأتي به الانتاج آئذ من ربح يعود الى الرجل ، وكانت المرأة تتمتع به معه ، ولكن دون ان تكون لها أية حصة في ملكيته » (١) .

وفيما بعد ، ظهر عدم التساوي بين رؤساء الاسر المختلفة ، وساعد عليه ما نتج عن التقسيم المتزايد للعمل من جراء تطور المقايضة . وجاء استعمال الحديد فزاد في تنوع الادوات والاشياء المستعملة ، واتسعت الزراعة كذلك بفضل ادخال المحراث ذي السكة الفلزية ، فأضيفت الى الحبوب مزروعات أخرى .

« ولم يعد ممكنا بعد هذا ان يقوم الفرد نفسه بعمل بلغ هذا المبلغ من التنوع ، فحصل اذ ذاك ثاني تقسيم كبير للعمل : فانفصل العمل الحرفي عن الزراعة » (٢) .

(١) انجلز : المصدر السابق ، ص ٢٥٥ .

(٢) انجلز : المصدر السابق ، ص ٢٥٨ .



والى جانب الفرق بين الاحرار والعبيد نشأت فوارق جديدة بين الاغنياء والفقراء - فمع هذا التقسيم الجديد للعمل نشأ انقسام جديد للمجتمع الى طبقات . ان الفوارق في الملكية بين رؤساء الاسر الفردية قد فسخت المشاعية المنزلية القديمة حيث كانت لاتزال قائمة ، وانحل معها العمل المشترك في الارض لحساب هذه المشاعية ، ومنحت الاسر الخاصة الارض القابلة للزراعة ، لمدة محدودة اول الامر ، ثم صارت ملكا لها الى الابد (١) .

وهكذا تم الانتقال الى الملكية الخاصة .

وقد أدت كثافة السكان المتعاظمة الناشئة عن انتاجية العمل المتعاظمة ، وعن تزايد الروابط بين مختلف القبائل الى دمج البطون والقبائل ، شيئا فشيئا ، في شعوب . ونجد من جهة اخرى ، ان تفسخ المشاعية البدائية ، والتفاوت المتزايد بين اعضائها ، وعلى الاخص استخدام عمل العبيد على نطاق عام . كل ذلك أدى الى تشكيل الدولة كجهاز سيطرة من الطبقة المستغلة على الطبقة المستغلة .

لقد تفسخ نظام المشاعية البدائية تحت ضغط القوى المنتجة التي أوجدها ، وأفسح المكان لمجتمع جديد منقسم الى طبقات .

(١) انجلز : المصدر السابق ، ص ٢٥٨ .

يزعم اعداء الشيوعية ، ان مجتمع المشاعية البدائية لم يوجد قط ، على دعواهم ، وان الملكية الخاصة وانقسام المجتمع الى طبقات ، كانا موجودين منذ وجد المجتمع . ويسمى هؤلاء جهدهم ليظهروا ان الملكية الخاصة لاتنفصل عن طبيعة الانسان ذاتها ، وانه لايمكن للملكية من نوع آخر ان توجد ، وان المجتمع كان دائما منقسما الى طبقات وان مجتمعا دون طبقات هو فرضية لايمكن تصورها . ان انكار وجود المشاعية البدائية هو من مصلحة البرجوازية وعملائها ، في نضالهم ضد الشيوعية الحديثة .

ولقد برهن ماركس وانجلز منذ ١٩٤٥ (في كتاب «الفكر الالمانى») ان المشاعية البدائية كانت الشكل الاول للمجتمع . ثم وصل العالم الاميركي موغان بعد ذلك بثلاثين سنة ( في ١٨٧٧ ) ، وبصورة مستقلة عن ابحاث ماركس وانجلز ، الى النتيجة ذاتها ، بعد ان درس مطولا القبائل المتوحشة وشبه المتوحشة في اميركة وجزر المحيط الهادي . ولاتزال بقايا المشاعية البدائية موجودة حتى ايامنا هذه لدى عدد من الشعوب في شكل مشاعية زراعية ، تملك الجماعات الزراعية فيها الارض ملكا مشتركا ، وتوزع حصصا منها على اعضائها للتصرف بها بصورة مؤقتة . وليس يمكن بعد هذا ان يوضع موضع الشك ، وجود المشاعية البدائية كنقطة بدء في تطور الشعوب كلها .

ولنبحث الان في نظام الرق الذي نشأ على انقاض المشاعية البدائية .



## ٢ - نظام الرق

لم يكن عمل العبيد في بداية هذا النظام ، شائعا على نطاق واسع . فكانت هناك ، الى جانب الاسر التي تستخدم هذه اليد العاملة ، اسر كثيرة تكتفي بقوى عملها الاسرية الخاصة . ولكن لما تطورت المبادلة ، وظهر النقد ، ازال الاستثمارات الكبيرة ، التي كانت تستخدم جهد العبيد ، الاستثمارات الصغيرة . واليك كيف تم هذا النهج .

ادى ازدياد تقسيم العمل والتبادل ، الى نشوء التجارة ، وطبقة التجار الذين يشترون البضائع وبيعونها . وكان هذا كما قال انجلز « ثالث تقسيم للعمل ، ذي اهمية حاسمة » . فان التجار كانوا يستفيدون من عزلة المنتجين الصغار عن السوق ، فيشترون منهم السلع باسعار بخسة ، ويعاودون بيعها باسعار أعلى ، فكانوا بهذا الشكل يستغلون المنتجين والمستهلكين في وقت واحد . ثم كان من نتيجة نمو الانتاج السلعي والتبادل النقدي ، من جهة أخرى ، ان « جاء اقراض المال بعد شراء السلع به ، وجاءت معه الفائدة والمراباة » (١) .

ان راس المال الربائي يكبل المنتجين الصغار - الفلاحين والحرفيين - ويستعبدهم عن طريق الديون . ففي اليونان

(١) انجلز : « أصل العائلة » ، ص ٢٦٢ .

القديمة ، وفي روما ، وقع اكثر المنتجين الصغار في حقة قصيرة من الزمن في عبودية المربين . وقد كان الصراع بين المربين وبين مدينيهم ، الشكل الرئيسي للصراع الطبقي بين السكان الاحرار .

« كان الصراع الطبقي ، في المجتمع القديم ، وبالدرجة الاولى ، صراعا بين الدائنين والمدينين ، وقد انتهى في روما الى زوال المدين من طبقة العامة وتحوله الى عبد » (١) وقد ادى هذا الصراع الى خراب المنتجين الصغار وتحولهم الى بروليتاريين . ولكن هؤلاء في روما القديمة ، لم يكونوا بروليتاريين بالمعنى الحديث للكلمة ، ولم يكونوا ايضا عمالا ، انهم جماعة من المعدمين لغير (٢) . وقد احتكر كبار الملاكين العقاريين اراضي الفلاحين الذين اصابهم

(١) ماركس : « رأس المال » ، الكتاب الاول - طبعة دار اليقظة العربية ، دمشق ، ١٩٥٨ ، الجزء ١ ، ص ٢٠٠ طبعة مكتبة المعارف ، بيروت ، ١٩٥٦ ، الجزء ١ ، القسم ١ ، ص ١٨٠ .

(٢) « بروليتاريا » كلمة مشتقة من لفظ « النسل » باللغة اللاتينية ، كانت تطلق في التشريع الروماني على أدنى طبقة من المواطنين في مجتمع روما القديمة ، والتي كانوا يعتبرون أنها لا تفيد الدولة الا بانتاج النسل وأن الدولة مضطرة لاعتلتها لهذه الغاية . ولم تكن هذه الطبقة على العموم منتجة بل كانت معدمة ومعيشتها عالية على المجتمع . أما الطبقة المنتجة الكادحة آنذاك فكانت طبقة العبيد .

أما البروليتاريا الحديثة ، فهي طبقة الكادحين في المجتمع الرأسمالي الحديث ، وهي لا تشابه البروليتاريا القديمة الا من حيث أنها لا تملك ، بيد



الخراب ، وانشأوا عن طريق تميم استخدام عمل العبيد ، استثمارات كبيرة لتربية المواشي والزراعة ، وزراعة البساتين ، سميت « لاتفونديا » . وصار عمل العبيد يستخدم أكثر فأكثر في معامل الحرفيين التي كانت أحيانا على درجة من الاتساع لأبأس بها . وصار العبيد يعملون في المناجم والورشات الكبرى ، وفي شق الطرق ، وفي السفن ذات المجاذيف ، وفي كل مكان . لقد أصبح نظام الرق أساس كل الإنتاج . وصار عدد العبيد يفوق عدد السكان الأحرار أضعافا عدة . فكان في أثينة ٢٦٥ ألف عبد مقابل ٩٠ ألف حر ، وفي قورنثوس ٤٦٠ ألف عبد مقابل ٤٦ ألفا من الأحرار .

« وهكذا تقدم تجمع الثروة وتمركزها في أيدي طبقة قليلة من الناس ، تقدما سريعا ، مع اتساع التجارة والنقد والربا ، وتملك الأرض والاسترهان . وإلى جانب هذا ، ازداد افقار

اتها تخالف مخالفة شديدة من حيث أنها هي التي تنتج معظم خيرات المجتمع الحديث . وقد استعار الكلمة القديمة بعض الكتاب الفرنسيين البرجوازيين في القرنين الثامن والتاسع عشر وأطلقوها على الطبقة التي لا تملك في المجتمع الرأسمالي الحديث . وشاع من ثم استعمالها في اللغات الأوروبية ، على ما تنطوي عليه هذه التسمية من تحقير لهذه الطبقة ذات الشأن العظيم .

ولذا فإنه يحسن بنا في اللغة العربية أن نجنب تسمية هذه الطبقة بالبروليتاريا ، وأن نعرفها بـ « الطبقة الكادحة » ، إذ أن الكدح هو دورها المميز في المجتمع ، وهو عنوان أصالتها وشرفها . ( المراجع )

الجماهير ، وتضخيم جموع الفقراء ... ومع هذا الانقسام بين الرجال الأحرار إلى طبقات حسب ثرواتهم ، ازداد بشكل كبير ، وخصوصا في اليونان ، عدد العبيد الذين كان عملهم الإجباري يؤلف القاعدة التي يقوم عليها البناء الاجتماعي الفوقي كله (١) .

كان العبد ملكا مطلقا لسيده الذي كان يستطيع أن يتصرف به تصرفه بالسوائم . وكان العبيد محرومين من كل الحقوق المدنية ، حتى الأساسية منها . وكان أسيادهم يستطيعون قتلهم دون أن ينالهم عقاب . ومن الراهن أن ظروفنا كهذه ، كانت تجعل من الضروري اللجوء إلى العنف لأغرام العبيد على العمل . فكان استغلال العبيد الفظيع سبب اتلاف قواهم السريع ، فاذا عجزوا عن العمل ، قتلوا . وكان من الضروري لاستبدال الموتى بغيرهم ، ولتوسيع الإنتاج ، أن يكون هناك رفق لا ينقطع من العبيد ، فكان الأسياد يتداركونهم عن طريق الحروب التي كانت تشنها الدول النحاسية دون انقطاع تقريبا .

وقد أدى استغلال العبيد ، هذا الاستغلال الحاد ، إلى تمردات ، كان أخطرها التمرد الذي قاده إسبارطاكوس من سنة ٧٣ إلى سنة ٧١ قبل الميلاد ، ولكنها انتهت جميعا إلى الفشل .

(١) انجلز : « أصل العائلة » - الطبعة العربية ، ص ٢١٤ .



لقد كان نظام الرق مرحلة ضرورية في تطور المجتمع البشري .  
وكان الرق قد صار ، في ظروف انحلال المشاعية البدائية ، الأساس  
الوحيد للتطور الاجتماعي .

« كان ادخال نظام الرق ، في الظروف التي حدث فيها ،  
تقدما كبيرا . ولقد كان منتظرا قطعا ، ان الانسانية التي ولدت  
من الحيوانية ، كانت بحاجة الى وسائل بربرية ، بل وحيوانية  
تقريبا ، لتنفذ عنها آثار البربرية » (١) . كان العمل اليدوي اذ  
ذاك اساس الانتاج ، ولم يكن الانتاج الكبير ممكنا دون استخدام  
عمل العبيد على نطاق واسع . لقد جعل نظام الرق في حيز  
الامكان ، ايجاد تقسيم اكبر للعمل بين العمل الحرفي والزراعة ،  
كما سمح ببناء الآثار الضخمة التي بناها الاقدمون ، وبانشاء الملاحة  
وصناعة استخراج كنوز الارض . ولولا نظام الرق ، لما استطاعت  
العلوم والفنون ( كالرياضيات والميكانيك والجغرافية والفلك  
والنحت والفنون الجميلة ) ، ان تبلغ ما صارت اليه ايام  
الاقدمين من مستوى رفيع نسبيا .

ولكن تطور القوى المنتجة ، لم يكن يفيد الا حفنة من  
المستغلين . اما بالنسبة لمجموع العبيد ، فكان يعني مالا يطاق من  
الآلام وضروب الحرمان . ولكن هذا كان على وجه العموم ، قانون

(١) فريدريك انجلز : « رد على دوهرينك - السيد أوجين دوهرينك يقلب  
العلم رأسا على عقب » - الطبعة العربية ( بعنوان : « انتي دو هرنغ » ) ،  
دار دمشق ، ١٩٦٥ ، ص ٢١٧ .

تطور القوى المنتجة في المجتمع المنقسم الى طبقات .

« لما كان اساس الحضارة استغلال طبقة لآخرى ، كان لابد  
لتطورها كله ان يتخبط في تناقض مستديم . فكل خطوة الي  
الامام في الانتاج ، هي في الوقت ذاته خطوة الى الوراء في وضع  
الطبقة المضطهدة ، أي الاكثرية الكبرى من الناس . وكل خير  
لاحدى الفئتين ، هو بالضرورة شر للفئة الاخرى . وكل تحرر  
جديد لطبقة من الطبقات ، اضطهاد جديد لطبقة اخرى وان لنا في  
استعمال الآلة ، وما نجم عنه من نتائج معروفة في العالم كله ، برهانا  
ساطعا على ما نقول » (١) .

كان نظام الرق شكلا اجتماعيا ضروريا من اشكال تطور  
القوى المنتجة ، في مرحلة معينة من مراحل التاريخ . ولكن هذا  
التطور كان بدوره ، سببا لانحطاط هذا النظام .

## انحطاط نظام الرق

لم تتطور المهانة ( التكنيك ) في ظل نظام الرق ، أي تطور  
تقريبا . فقد كانت روما القديمة واليونان تطوران على الاخص  
انتاج الاشياء الكمالية والاسلحة ، وبناء القصور والمعابد ، والطرق

(١) انجلز : « أصل العائلة » - الطبعة العربية ، ص ٧٢٩ .



الحرية . اما المهانة ، وخصوصا في الزراعة التي كانت فرعا  
اساسيا من فروع انتاج ذلك الزمان ، فقد بقيت دون أي تغيير  
تقريبا ، وكان اساس تطور الانتاج هو استخدام يد العبيد العاملة  
الرخيصة ، وكان ذلك يفرض زيادة عددهم دون انقطاع ، ولما كانت  
الحرب هي المصدر الرئيسي لتدارك العبيد ، فقد فتحت روما  
خلال بضعة قرون اوروبية الغربية كلها تقريبا ، وآسية الصغرى ،  
وساحل افريقية الشمالية على البحر الابيض المتوسط .

وقد خضعت المقاطعات التي فتحها روما لاستغلال رهيب  
فكانت موردا خصباً تجني منه روما الضرائب ، ويخضع سكانها  
لتهب الموظفين الرومانيين الاداريين والجيوش الرومانية المقيمة  
فيها ، نهبا لارحمة فيه . ولقد ادى هذا الاستغلال البربري  
للشعوب المغلوبة على امرها الى تدمير قواها المنتجة تدميرا عاما .

واذا كان نظام الرق في عهد نشأته ، وفي أيامه الاولى ، عاملا  
في تطور القوى المنتجة ، فقد صار فيما بعد سببا لتدمير هذه  
القوى . وكان لهذا الانحطاط في القوى المنتجة ان يؤدي بدوره  
الى انحلال نظام الرق وزواله . وعلى قدر ما كان يزداد الفقر  
الشامل ، وانحطاط التجارة والعمل الحرفي والزراعة ، كان عمل  
العبيد ينقطع تدريجيا عن ان يكون عملا مفيدا ، وذا ريع .

« لقد قضى نظام الرق القديم زمنه ، ولم يعد يعطي

بعد ذلك اية فائدة تستحق الذكر ، لافي الريف حيث الزراعة  
الكبرى ، ولا في المعامل اليدوية في المدن ، واختفى سوق منتجانه» (١)

فلما انحطت الاستثمارات الكبيرة المؤسسة على عمل العبيد،  
عاد الانتاج الصغير فصار مربحا من جديد ، واخذ عدد العبيد  
المعتقين يتزايد دون انقطاع ، ويرافق تزايد تجزئة المزارع الكبيرة  
( لايفونديا ) الى ارض صغيرة يزرعها العامرون (٢) . كان العامر  
مزارعا يتلقى ارضا يتصرف بها ابدا ، ويقدم مقابلها اتاوة نقدية ،  
او من محصوله . ولم يكن هذا العامر مزارعا حرا ، لانه كان  
مرتبطا بالارض لا يستطيع تركها ، كما كان يمكن ان يباع معها .  
ولكنه من جهة اخرى ، لم يعد عبدا ، فلم يعد ملكا شخصا لسيد  
الارض ، ولم يعد لهذا السيد ان يجبره على القيام بهذا العمل  
او ذاك ، ولا ان يحرمه من الارض التي كان مرتبطا بها . ولقد  
كان اولئك العامرون اسلاف اقنان العصر الوسيط . وكان اكثرهم  
من العبيد السابقين ولكن بينهم مع ذلك عددا من الرجال الاحرار  
ايضا ، انحدروا الى مرتبة العامرين ، ولو كانوا اقل عددا .

(١) انجلز : « اصل العائلة » - الطبعة العربية ، ص ٢٢٥ .

(٢) آثرنا كلمة « العامر » لترجمة « كولون » ، ولم نستعمل « مستعمر »

لمعناها الحديث المشهور . والعامر من عمر الارض بمعنى سكنها وأحيائها .



الا ان نظام الامصار لم يحل التناقض الذي خلقه نظام الرق .

« لم يعد نظام الرق يعطي اية فائدة ، ولذلك راح يموت شيئا فشيئا . ولكنه يترك وراءه ابرته السامة : وهي احتقار الرجال الاحرار للعمل المنتج . هنا كان المازق الذي وقع فيه العالم الروماني ، والذي لم يجد منه مخرجا . فنظام الرق لم يعد ، من الناحية الاقتصادية ، نظاما يمكنه البقاء ، وعمل الرجال الاحرار كان ، اخلاقيا ، موضع الاحتقار . فالرق لم يعد يمكن ان يكون اساس الانتاج الاجتماعي ، وعمل الاحرار لم يكن يمكنه ، حتى ذلك الوقت ان يكون اساسا له . وكان العلاج الوحيد لهذه الحالة ، ثورة كاملة » (١) .

عندما كان اقتصاد نظام الرق قويا وثابتا ، انتهت تمردات العبيد التي كانت تحدث من وقت لآخر الى الفشل ( واكبرها جميعا تمرد اسبارطاكوس في سنتي ٧٣ - ٧١ قبل الميلاد ) . ولكن الوضع تغير تماما مع انحطاط اقتصاد نظام الرق ، وانحطاط الامبراطورية بوجه عام ، وقد تكلمنا عنه آنفا . وقد اتخذت تمردات العبيد منذ القرن الثاني للميلاد ، شكلا اكثر حدة ، وصادفت على الاغلب تأييدا من قبل الطبقات الفقيرة من السكان الاحرار - وهو امر له أهمية خاصة . واتفق في الوقت ذاته ، ان بدأ البرابرة الجرمان

(١) انجزر : « اصل العائلة » - الطبعة العربية ، ص ٢٢٧ .

يتوغلون في اراضي الامبراطورية الرومانية . كانوا في حالة حرب معها منذ عدة قرون فسهل هجوم الجرمان تمردات العبيد داخل روما . وساهمت هذه التمردات ، التي تكون بمجموعها مايسمى ثورة العبيد ، في هزيمة روما على يد الجرمان ، وادت هذه الهزيمة من جديد ، الى الاسراع في سير ثورة العبيد وتصفية نظام الرق .

في نهاية القرن الخامس ، انتهى صراع الجرمان مع روما الى هزيمة الامبراطورية الرومانية والى تفتتها . وكانت الشعوب الجرمانية ، وعددها خمسة ملايين تقريبا ، في درجة منحطة من درجات التطور ، وكان الرق موجودا لديهم بشكله البدائي ، وكانت « بطون » القبائل الجرمانية ، بسبب نضالها ضد روما مدى عصور كاملة ، تحمل على الاخص طابع ديموقراطية عسكرية . الا ان الجرمان لما فتحوا روما ، تخلوا عن نظام « البطون » الذي كان يستحيل معه ادارة الدولة ، وخلقوا سلطة سياسية جديدة : السلطة الملكية التي كانت في الاساس سلطة القائد العسكري .

لقد اخذ الفاتحون الجرمان ، ثلثي مجموع اراضي الرومان ، ووزعوها على « البطون » والاسر . ولكن قسما هاما من الاراضي المفتوحة ، وزعها الملوك على القادة العسكريين ، الذين اعطوها بدورهم الى محاربيهم ليتصرفوا بها تصرفا دائما ، دون ان يكون لهم حق بيعها او التخلي عنها لآخرين . ان هذه الاراضي التي



بقيت تحت سلطة الملك العليا ، سميت اقطاعات ، وسمي اصحابها  
اسيادا اقطاعيين . ولم يكن في وسع انتاج الفلاحين الصغير ، في  
ذلك العصر الحافل بالحروب المستمرة ، ان يعيش دون حماية  
الاسياد الاقطاعيين الكبار الذين كانوا في الوقت ذاته قادة عسكريين .  
فوقع الفلاحون تدريجيا ، وخلال ٤٠٠ سنة منذ سقوط روما ،  
تحت سيطرة هؤلاء الاسياد . وكان الفلاحون مرغمين على ان يضعوا  
اراضيهم تحت حماية السيد الاقطاعي ، الذي يصبح مالكا لها ،  
دون ان يستطيع بيعها او التخلي عنها لشخص ثالث . ومقابل  
هذه الحماية ، كان الفلاحون يتعهدون بأن يقدموا للسيد الاقطاعي  
ولجنوده ، محصولات غذائية ، وان يقوموا بمختلف الاعمال  
لحسابه . وهكذا نشأ حوالي القرن التاسع ، النظام الاقطاعي ،  
او الاقطاعية .

## ٢ - الاقطاعية

كان الانتاج الفلاحي الصغير وانتاج صغار الحرفيين الاحرار ،  
الاساس الاقتصادي لنظام الانتاج الاقطاعي . وكان الانتاج انتاجا  
طبيعيا بالدرجة الاولى ، اي ان الحاجات المنتجة فيه لم تكن  
معدة للتبادل .

وانخذ الاستغلال الاقطاعي للفلاحين شكلين رئيسيين :

١ - اجبار الفلاح على ان يعمل مجانا اياما معينة من الاسبوع

في حقول السيد ( وهي السخرة ) ، ٢ - اجباره على تسليم جزء  
من محصول ارضه الخاص ( وهي الاتاوة ) . وكان الفلاح يملك  
حق ترك سيده لينضم الى سيد آخر ، ولكنه لا يستطيع مع ذلك  
ان يتحرر من السيادة الاقطاعية .

وكان المنتجون الحرفيون المستقلون الذين يقطنون في المدن  
وينتجون بقصد البيع ، يسدون قسما كبيرا من حاجاتهم بما  
ينتجونه بعملهم الخاص ( فكانوا يملكون مواشي ، وبستانا وحقل  
في بعض الاحيان ) ، وكان التبادل محليا على الاخص ، ويجري بين  
المدينة والقرى المجاورة لها . والى جانب هذا ، كانت هناك  
تجارة المنتجات المستوردة من البلدان الاخرى ، وخصوصا  
الاشياء الكمالية ، والافاوية ( البهارات ) وغيرها . ولكن لم يكن  
هناك تقريبا تبادل بين المناطق المختلفة للبلد الواحد . ولما كان طابع  
الانتاج طبيعيا ، وكان تطور المبادلات ضعيفا ، وكانت الطرق  
والمواصلات سيئة ، كانت البلاد مجزأة الى مقاطعات ومناطق  
مستقلة ، واضطرت المدن التي كان يسكنها الحرفيون والتجار  
على الاخص ، لان تخوض غمار نضال قاس وطويل الامل ، لتفوز  
بالحكم الذاتي ، فكانت محصنة ، وتملك حامياتها الخاصة . وكان  
الحرفيون متكئين في هيئات حرفية استندى وجودها مستودعات  
مشتركة ، وضرورة مراقبة الاسعار ونوع المصنوعات بغية تفادي



المراحمه . وكان التجار يملكون بدورهم هيئتهم الخاصة ، ار  
« قبلد » . وقد حبد التجار هذا التنظيم في المدن ، ورغبوا بتقويته ،  
نظرا لحاجتهم الى الدفاع عن استقلالهم ضد الاسياد الاقطاعيين .  
ان النظام الحربي في المدن كان متمما للنظام الاقطاعي في الزراعة .

ومع تطور التبادل ، اخذ استغلال الفلاحين يزداد شدة ،  
خطوة فخطوة . فكلما اتسع التبادل ، وكلما استطاع السيد  
الاقطاعي شراء اشياء كمالية واسلحة لمحاربيه ، كلما وجب عليه  
بالتالي ، ان يستنزف من فلاحيه اكثر مما كان يستنزف قبلا .  
فصارت حقول الاسياد تتسع على حسب اراضي الفلاحين ،  
« والسخرات » تزداد معها « الاتاوات » .

ثم ازداد استغلال الفلاحين شدة ، على اثر نشوء دول ممركة  
مكان الاقطاعات الاقطاعية المتعددة . فقد كان تجزؤ البلاد الى  
مقاطعات مستقلة ، يعوق التجارة ، لان كل سيد اقطاعي كبير  
كان يفرض مكوسا على السلع التي تمر في املاكه ، ويسك عملته  
الخاصة ، الخ . وكانت التجارة من جهة أخرى عملا غير مضمون ،  
بالنظر للغارات المستمرة التي كانت الجيوش الاقطاعية تشنها  
على قوافل البضائع . ولذلك كان التجار يريدون هدم استقلال  
الاقطاعيين . فاستفادوا من النضال الناشب بين الاسياد الاقطاعيين  
المختلفين ، لينحازوا الى اقواهم ، ويعينوه على اخضاع الآخرين .  
فلما نشأت السلطة السياسية المركزية . حلت الجيوش الاقطاعية ،  
واستبدلت بالجيش الملكي ، فاضيفت الى « الاتاوات » التي كان

يدفعها الفلاح الى سيده « اتاوات » اخرى معدة لسد نفقات الدولة  
الاقطاعية . وصارت هذه « الاتاوات » التي تأخذها الدولة تستوفي  
اكثرا فأكثر نقدا لامحصولا ، وتحولت من عينية الى نقدية . وقد  
ساعد هذا على تطور الانتاج السلمي ، لان الفلاح صار مضطرا  
لبيع منتجاته في السوق ليحصل على المال اللازم لدفع الضرائب ،  
وهكذا وقع الفلاحون تحت نير عبودية جديدة ، اذ خضعوا ايضا  
للمحتكر والمرايبي .

ادى استغلال الفلاحين المتعظم شدة الى دفع هؤلاء للهروب ،  
وفي سبيل الحؤول دون هذا الهروب لجأ الاقطاعيون الى ربطهم  
بالارض فأصبحوا اقنانا ، وفي ظل القنانة ازدادت تبعيتهم للاقطاعي  
وتوثقت . كما ادى استغلال الفلاحين المتعظم شدة ، وادخال  
نظام « القنانة » ، الى تمردات فلاحية كبرى انتهت جميعا الى  
الفشل ( كحركة « الجاك » في فرنسا في القرن الرابع عشر ،  
وحرب الفلاحين في المانية في القرن السادس عشر ، وتمردات  
رازين وبوغاتشوف في روسيا<sup>(١)</sup> ) . وكان سبب فشلها ان الفلاحين  
لم يجدوا حلفاء لهم في المدن ، اذ لم تكن الطبقة الكادحة الحديثة  
قد وجدت بعد .

(١) رازين : قائد ثورة فلاحية من القوزاك ، في القرن السابع عشر .  
بوغاتشوف : قائد ثورة فلاحية من القوزاك ، في القرن الثامن عشر . سحقت  
كلا الثورتين بوحشية على يد السلطة القيصرية . ( المراجع )



وحدثت في المدن تبدلات هامة . فالملاقات بين المعلمين الحرفيين وصناعهم اخلت بزاد خطورة ، ومثلها العلاقات بين الحرفيين والتجار . واليك السبب في ذلك . كان الفلاحون خلال المرحلة الاولى من النظام الاقطاعي ، يهربون باستمرار نحو المدن التي كانت تحكم ذاتها حكما ذاتيا ، ويتمتع سكانها بحريتهم الشخصية . فازداد ، بهذا الشكل على الاخص ، عدد سكان المدن . وكان هذا مفيدا لها اول الامر ، اذ ان قوتها العددية كانت تزداد باللاجئين اليها ، وكانت هذه الزيادة تنفعها في نضالها ضد الاقطاعيين . ولكن هذا التزايد في سكان المدن اوجد خطرا هدد الحرفيين ، هو خطر المنافسة . فاخذت الحرف تعتمد الى التحديد والتضييق في قبول الاعضاء الجدد في صفوفها ، واطالت مدد التدريب في المهن ، وزادت في استغلال الصناع حتى صار من الحال عليهم ، اكثر فاكثرا ، ان يصبحوا معلمين حرفيين . واتخذت الحرف فوق هذا ، تدابير اخرى ترمي الى منع كل الاساليب الجديدة من ان تدخل في الانتاج ، والى محاربة تجارة المنتجات المستوردة ، فكان من ذلك ، ان نشب الصراع بين الحرف وبين التجار .

## المخطاط الاقطاعية

لقد صار التنظيم الحرفي الاقطاعي بذلك ، عقبة في وجه كل تطور لاحق في الانتاج السلمي . وجاءت الاكتشافات الجغرافية

الكبرى في القرن الخامس عشر ( اكتشاف الطريق البحرية الى الهند ، واكتشاف امركة ) فدفعت التجارة بقوة الى امام .

« فالتجارة بين اوروبة والعالم الخارجي ، التي كانت محصورة في تجارة ايطالية مع دول المشرق فحسب ، اتسعت فشملت امركة والهند ، وتجاوزت من حيث الاهمية جميع المبادلات القائمة بين مختلف بلدان اوروبة ، وكل التداول الداخلي في كل بلد على حدة ، تجاوزا سريعا . لقد جاء ذهب امركة وفضتها ، فافرقا اوروبة ، وتسربا الى كل مافي النظام الاقطاعي من ثغرات وشقوق وصدوع ، بصفتها عناصر تفسخ وتهديم . ولما كان الانتاج الحرفي لم يمسد يكفي لسد الحاجات المتزايدة ، استبدل في البلدان المتقدمة عن غيرها ، بنظام العمل اليدوي (١) « (٢) . واليك الآن كيف ولد المعمل اليدوي الرأسمالي . لقد كان النول الصغير محتكرا في المدن بيد الحرف . ولهذا ، اخذ رأس المال التجاري الذي كان مسن مصلحته تطوير الانتاج ، يوسع دائرة نشاطه الى ما وراء المدن ، فعزز تطوير الانتاج الحرفي في الريف ، وخصوصا انتاج النسيج ،

(١) المعمل اليدوي : « المانيفاكتورة » .

(٢) انجلز : « رد على دوهرينك » ( « انتي دوهرنغ » ) ، طبعة دار دمشق ،



فكان من ذلك ان وقع الحرفي البعيد عن السوق ، في تبعية  
المتعهد الرأسمالي . وقد اتخذت هذه التبعية الاشكال التالية  
على التوالي : يبيع الحرفي ، اول الامر ، منتجاته باسعار رخيصة  
ثم يتلقى من المتعهد بعدئذ نقودا ومواد اولية على سبيل القرض ،  
فيصبح عاملا يشتغل بتصنيع المواد الاولية التي تخص المتعهد  
مقدما من عنده آتته الخاصة لاغير ، ورابحا بعد جهد ما يكاد يقوم  
بأوده .

ويأخذ المتعهد بعد هذا ، بتكتيل الحرفيين المبعثرين في بناء  
واحد ، حيث يعملون منذئذ كعمال مأجورين محرومين من كل  
وسيلة للانتاج . وعندئذ يصبح رأس المال التجاري رأس مال  
صناعيا ، ويظهر الى جانب الانتاج السلمي الصغير الانتاج  
الرأسمالي الكبير : اي انتاج المعمل اليدوي .

المعمل اليدوي هو قوة منتجة جديدة كل الجدة ، ومتفوقة  
على قوة المنتجين الصغار . فهو يشغل كثيرا من العمال ، يقوم  
كل منهم بانجاز جزء معين من العمل ، فيكون عمل الجميع من  
حيث القدرة الانتاجية اعظم بكثير من العمل المبعثر الذي يقوم به  
المنتجون الصغار . ولم يكن التقسيم الاجتماعي للعمل موجودا  
قبل ظهور المعمل اليدوي ، الا بين مختلف المنتجين المستقلين الصغار  
الذين تربط السوق بينهم . اما بعد ظهوره ، فقد اخذ تقسيم  
العمل هذا يتحقق في داخل المعمل اليدوي ذاته .

ولهذه القوة المنتجة الجديدة ، علاقات انتاجية جديدة  
توافقها . فلم يكن رأس المال من قبل موجودا الا بشكل رأس مال  
ربائي وتجاري . وكان التاجر والمرايبي يستغلان صغار المنتجين  
الذين يبيعون منتجاتهم الخاصة . اما بعد ظهور المعمل اليدوي ،  
فلم يعد العامل يبيع منتجاته ، بل صار يبيع قوة عمله . الرأسمالي  
هو الذي يملك وسائل الانتاج ، ويملك البضائع التي يصنعها  
العامل ، ولا يتلقى العامل الا اجرا يعادل ثمن قوة عمله ، بينما هو  
ينتج القيمة الزائدة للرأسمالي . صار العامل مستغلا من قبل  
الرأسمالي ، وصار اسلوب الانتاج على هذا النحو اسلوبا  
رأسماليا ، واخذت علاقات انتاج جديدة ، علاقات رأسمالية ،  
تظهر وتتطور مع نمو القوى المنتجة .

ولكن النظام الاقطاعي كان يعوق التطور اللاحق لهذه  
القوى المنتجة الجديدة ، ولعلاقات الانتاج التي توافقها ، وكان مما  
يعوق هذا التطور ، النظام الحرفي في المدن ، ذلك الجزء المتمم  
للنظام الاقطاعي . غير ان العلاقات الاقطاعية في القرية ، لم تكن  
اقل اعاقا لتطور الانتاج الرأسمالي ، اذ ان ارتباط الاقنان بالارض  
كان يحرم الرأسماليين من يد عاملة رخيصة . وهكذا نرى ان  
الاقطاعية التي كانت متوافقة عند نشأتها ، مع مستوى القوى  
المنتجة في المجتمع ، صارت متناقضة مع القوى المنتجة المتنامية  
وصار الفاؤها ضرورة تاريخية .



في الملاك العقاريين الاقطاعيين ، ومعلمي الحرف « (١) .

## ٤ - الرأسمالية

تطورت الرأسمالية منذ كان الانتاج السلعي . اما قبل ظهوره فكان الاقتصاد الطبيعي هو السائد لا الانتاج السلعي . ولقد وجد التبادل ، والنقد ، والتجارة ، حتى في نظام الرق والنظام الاقطاعي ، ولكن الكتلة الرئيسية من المنتجات فيهما لم تكن معدة للسوق ، ولم يصبح الانتاج السلعي اسلوب الانتاج العام والسائد الا في ظل الرأسمالية . وقد طورت الرأسمالية التقسيم الاجتماعي للعمل ، على نطاق واسع . فمن العمل اليدوي الرأسمالي الذي يشكل فيه العمل اليدوي اساس الانتاج ، ينشأ العمل الرأسمالي المجهز بالوسائل الالية الضخمة ، وتزداد انتاجية العمل زيادة هائلة ، وتظهر بضائع جديدة ، ويتعاظم عدد العامل . هذا في حين تدمر الرأسمالية بعضا من الاساليب القديمة للانتاج ، وتسيطر على بعضها الاخر ، وتطور وسائل المواصلات ، وتتسرب الى كل زوايا المعمورة ، وتخلق السوق العالمية والاقتصاد الرأسمالي العالمي .

ولكن الانتاج في النظام الرأسمالي لا يهدف الى اكفاء الحاجات الاجتماعية ، بل الى تنمية ثروات الرأسماليين . فالسباق الى

(١) كارل ماركس وفريدريك انجلز : « الدراسات الفلسفية » - الطبعة الفرنسية ، دار « اديسيون سوسبال » ، باريس ، ص ٥٨ .

فلما ازدادت حدة اضطهاد الدولة الاقطاعية للفلاحين وللجماهير البرجوازية الصغيرة والعاملة في المدن ، انفجرت الثورات البرجوازية الرامية الى هدم النظام الاقطاعي وفسح المجال امام تطور الرأسمالية . وقد حدثت هذه الثورات في انكلترا في القرن السابع عشر ، وفي فرنسا عند اواخر القرن الثامن عشر (١) .

« ان القوى المنتجة الجديدة التي حركتها البرجوازية ، وفي الدرجة الاولى تقسيم العمل وحشد عدد كبير من العمال المتخصصين في معمل يدوي واحد - وكذلك ما خلقتة هذه القوى من ظروف التبادل وحاجاته ، كل ذلك صار غير متفق مع نظام الانتاج السائد الذي ارثه التاريخ وكرسه القانون ، اي صار غير متفق مع مافي النظام الاقطاعي من امتيازات حرفية ، وامتيازات شخصية ومحلية لاتحصى ( والتي كانت بمثابة عقبات في وجه الجماعات المحرومة من الامتيازات ) . وكان بالنتيجة ان تمردت القوى المنتجة المتمثلة في البرجوازية ، ضد نظام الانتاج المتمثل

(١) وفي البلدان التي تطورت فيها الرأسمالية من بعد ، وجرت فيها الثورة البرجوازية بعد ان تكونت الطبقة الكادحة الصناعية ، كما كانت الحال في المانية سنة ١٨٤٨ ، وخصوصاً في روسية سنة ١٩٠٥ ، تفاهمت البرجوازية مع الدولة الاقطاعية ، وتواطت معها .



الريح هو القوة المحركة للرأسمالية . ان كل رأسمالي ، رغبة منه بجني أكبر ربح ممكن ، وتحت ضغط المنافسة ، يحاول زيادة انتاجه وتشديد استغلال العمال ، وادخال آلات جديدة محسنة في الانتاج .

وقد سبق ان اوردنا كلمات انجلز حيث يقول ان « كل خطوة الى الامام في الانتاج ، هي في الوقت ذاته خطوة الى الوراء في وضع الطبقة المضطهدة ، اي الاكثرية الكبرى من الناس » في المجتمع المنقسم الى طبقات . والرأسمالية تزيد الى اقصى حد خطورة هذا التناقض في المجتمع المنقسم الى طبقات .

« فالنظام الرأسمالي ، بصفته صانعا لنشاط الآخرين ، ومستندرا للعمل الاضافي ، ومستغلا لقوة العمل ، يفوق من حيث القدرة والافراط والفعالية كل أنظمة الانتاج السابقة ، القائمة على العمل الاجباري المباشر » (١) .

غير ان الرأسمالية ، عندما تطور قوى المجتمع المنتجة ، تبدو يوما فيوما ، اقل قدرة على السيطرة عليها ، واجدى برهان على ذلك ، هو تلك الازمات التي تأتي على نحو دوري فتزعزع النظام

(١) كارل ماركس : « رأس المال » - طبعة دار البقعة العربية ، دمشق ، ١٩٥٨ ، الجزء ١ ص ٤٥٨ - ٤٥٩ - طبعة دار المعارف ، بيروت ، ١٩٥٦ ، الجزء ٢ ، القسم ١ ، ص ٢٣٦ - ٢٤٧ .

الرأسمالي وتدمر جزءا من القوى المنتجة . وهكذا تصبح الرأسمالية ، أكثر فأكثر ، عائقا في طريق تطور هذه القوى التي ولدتها هي ذاتها . ومن هنا يتبين ان الفناء الرأسمالية بالطرق الثورية ، واستبدالها بالشيوعية ، اي بمجتمع دون طبقات تكون وسائل الانتاج فيه ملكا مشتركا ، يصبح ضرورة تاريخية .

وهكذا يؤدي تطور الرأسمالية الى ايجاد الظروف المادية والمهانية ( التكنيكية ) الضرورية لبناء المجتمع الشيوعي ، ويخلق في الوقت ذاته ، القوة المدعوة الى قلب الرأسمالية : اي الطبقة العاملة الثورية ، التي يزداد وضعها سوءا كلما تطورت الرأسمالية ، والتي ليس لها من مخرج آخر غير قلب الرأسمالية وبناء المجتمع الشيوعي .

## التناقض بين القوى المنتجة وعلاقات الانتاج

تبين لنا النظرة السريعة التي القيناها على تطور المجتمع ، ان الانتقال من اسلوب انتاج الى اسلوب آخر ، ليس وليد الصدفة ، بل ينجم عن اشتداد التناقض بين القوى المنتجة وعلاقات الانتاج . واليك في بضع كلمات ، كيف عرض ماركس قانون التطور التاريخي هذا :

« ان البشر ، اثناء الانتاج الاجتماعي لمعيشتهم ، يقيمون



فيما بينهم علاقات معينة ضرورية مستقلة عن ارادتهم . وتطابق علاقات الانتاج هذه درجة معينة من تطور قواهم المنتجة المادية . وعندما يبلغ قوى المجتمع المنتجة المادية درجة معينة في تطورها ، تدخل في تناقض مع علاقات الانتاج القائمة ، أي مع علاقات التملك - وليست هذه الا التعبير الحقوقي عن تلك - التي كانت تتحرك في كنفها حتى ذلك الحين . فبعد ان كانت هذه العلاقات اشكالا لتطور القوى المنتجة ، تصبح قيودا لهذه القوى ، وينفتح عندئذ عهد ثورة اجتماعية (١) .

ان كل نظام لعلاقات الانتاج ، او كل تنظيم اجتماعي ، له خصائصه ، سواء اكان مشاعية بدائية ، أم رقا ، أم اقطاعية ، أم رأسمالية ، أم شيوعية . بيد اننا اذا نظرنا الى انظمة الانتاج الثلاثة التي تلت المشاعية البدائية ، نجد ان هناك صفة مشتركة تجمع بينها جميعا : فان علاقات انتاجها علاقات طبقية . ان هذه الانظمة الانتاجية يميزها الصراع الطبقي ، ويشكل الصراع الطبقي فيها الخط الاساسي الذي يحدد كل الحياة الاجتماعية . ان الرأسمالية هي آخر مجتمع قائم على الصراع بين الطبقات ، آخر مجتمع منقسم الى طبقات ، ويحل مكانه النظام الاشتراكي الذي

(١) كارل ماركس وفريدريك انجلز : « الدراسات الفلسفية » - الطبعة الفرنسية ، ص ٨٢ .

لاطبقات فيه (١) ، وهو المرحلة الاولى للشيوعية . ويبدأ حكم الطبقة الكادحة واقامة رغام (٢) الطبقة الكادحة .

(١) لاينتهي وجود الطبقات من المجتمع بمجرد قيام ثورة الطبقة الكادحة واقامة حكمها الجديد . بل تنقضي حقبة تاريخية كاملة بين ظفر الطبقة الكادحة بالحكم للمرة الاولى ، وبين انجاز التحويل الاشتراكي وبزوغ المجتمع الشيوعي . وطوال هذه الحقبة ، تبقى الطبقات موجودة في المجتمع الاشتراكي ، ويبقى الصراع محتدما بين الطبقتين : الطبقة الكادحة والطبقة المستغلة ، وبين الطريقتين في التطور الاجتماعي : الطريق الاشتراكية والطريق الرأسمالية ، وبين الخطتين السياسيتين : الخط الاشتراكي والخط الرأسمالي . وتعتمد كل من الطبقتين الى تنمية ونشر ثقافتها واخلاقتها ومفهومها من العالم ، وتخلق وتطور قيادتها الفكرية والسياسية . وقد يبلغ الصراع بينهما أقصى درجات الشدة أحيانا ، كالحرب الاهلية ، ولاينتهي الا بعدما تتغلب الافكار والاخلاق والنظم الاشتراكية نهائيا وتسود الحياة الاجتماعية برمتها ، وبعدما تتم ازالة مخلفات عهود الاستغلال الطبقي كافة . وقد تستغرق حقبة الانتقال والتحويل هذه اجيالا عديدة من الناس . فالمجتمع الرأسمالي هو حقا آخر مجتمع منقسم الى طبقات ، بيد ان استبداله بالمجتمع الشيوعي ليس أمرا آنيا سريعا ، بل هو بناء يبنى في خضم الصراع المتمادي .

ولعل قصر التجربة التاريخية التي عاشتها الاشتراكية ، وتلف الكادحين تلهفا تشوبه المثالية ، الى رؤية امنيتهم التاريخية تجسد في النظام الشيوعي ، هي بعض العوامل التي أدت الى عدم الاحساس ، زمن تأليف هذا الكتاب في العقد الخامس من القرن العشرين ، بحتمية دوام وجود الطبقات والتناقض الطبقي ، وباستمرار الصراع بين الطبقتين والطريقتين والخطين ، في كنف المجتمع الاشتراكي ، طوال حقبة تاريخية مديدة نسبيا ، تمتد ما بين الرأسمالية والشيوعية . ( المراجع ) .

(٢) الرغام ( بكر الراء ) : نظام الحكم الارغامي الذي تفرضه احدى الطبقات على سواها ( الدكتاتورية الطبقية ) . ( المراجع ) .



ان جميع الثورات السابقة كانت تنتهي الى احلال نظام  
استغلال مكان نظام استغلال . اما ثورة الطبقة الكادحة فانها  
تقضي على كل استغلال .

« ان ثورتنا السوفياتية وحدها ، ثورة تشرين ( اكتوبر )  
1917 ، قد وضعت المسألة بشكل لا يحل معه نفر من المستغلين  
محل نفر آخر منهم ، ولا يستبدل معه شكل من الاستغلال بشكل  
آخر ، بل وضعت المسألة على نحو يقضي على كل استغلال ،  
ويستأصل جميع المستغلين وكبار الاغنياء والمضطهدين ، القدامى  
والحديثين » (١) .

ان سيطرة الانسان على الطبيعة ، في المجتمع المنقسم الى  
طبقات ، تمارس عن طريق السيطرة على الاكثرية الساحقة من  
المجتمع ، واستغلالها من قبل حفنة ضئيلة من المستغلين . وهكذا  
تكون كل خطوة الى الامام في الانتاج خطوة الى الوراء في وضع  
الشفيلة . اما ثورة الطبقة الكادحة ، فهي على العكس ، تدشن  
عهدا جديدا ، كل خطوة فيه الى الامام في مضمار الانتاج تعني في  
الوقت ذاته خطوة الى الامام في وضع الشفيلة . ويصبح المجتمع  
فيه ، للمرة الاولى ، سيد الطبيعة ، وتتطور القوى المنتجة

(١) ستالين : « في الطريق الصالحة » - الطبعة الفرنسية ، دار « بورو  
ديديسيون » ، باريس ، ١٩٢٢ ، ص ١٢ .

بسرعة لم يبلغها اي مجتمع قائم على استغلال طبقة لطبقة اخرى .  
وان في النمو السريع للقوى المنتجة ، وفي ظفر الاشتراكية ، في  
الاتحاد السوفياتي ، اسطع برهان على ذلك .

## خاتمة : أهمية الاقتصاد السياسي الماركسي

لقد بين لينين مالم النظرية من شأن في نضال الطبقة الكادحة  
حين قال : « ان حزبنا الذي يسترشد نظرية الطبيعة هو وحده يمكن  
ان يؤدي دور المقاتل في الطبيعة » (١) . ومعروف ان هذه النظرية  
الثورية التي تسليح الطبقة العاملة في نضالها لقلب الرأسمالية وبناء  
المجتمع الشيوعي هي الماركسية اللينينية . فلا بد اذن ، لقيادة  
الطبقة العاملة الى الظفر ، من معرفة قوانين تطور الرأسمالية  
وانهيارها ومعرفة الشروط الضرورية للتغلب عليها . وكما اننا  
لا نستطيع السيطرة على قوى الطبيعة اذا لم ندرسها ولم نعرف  
قوانينها ، فكذلك لا يستطيع حزب الطبقة الكادحة الثوري ، اذا  
جهل القوانين التي تسود تطور المجتمع بعامة ، والرأسمالية بخاصة .  
ان يهيء ويطبق استراتيجيات وخطة صالحتين وسياسة صحيحة ،  
تؤدي الى قلب الرأسمالية وبناء المجتمع الشيوعي ، ان ماركس  
وانجلز هما اللذان كشفا قوانين تطور المجتمع وبرهنا ان علاقات  
الانتاج بين الناس هي اساس كل الحياة الاجتماعية ، وهما اللذان

(١) لينين : « مالم العمل » - الطبعة العربية ، دار التقدم ، موسكو ١٩٦٨ ،  
ص ٢٢ - طبعة دار دمشق ، دمشق ، ١٩٥٨ ، ص ٣٣ .



برهنا ان الاشتراكية ضرورة تاريخية وان دكتاتورية الطبقة  
الكادحة ضرورة تاريخية ايضا ، باعتبارها شكل الانتقال من  
الراسمالية الى الاشتراكية .

ان مذهب ماركس وانجلز الاقتصادي ، المتعلق بارتباط  
تطور علاقات الانتاج بتطور القوى المنتجة ، يشكل جزءا رئيسيا  
في نظريتهما ، وان نظرية ماركس لتجدد في ذلك المذهب اعمق  
تحقيق وتطبيق لها ، واكثرهما اطلاقا واشدهما تفصيلا . وقد  
صرف ماركس وانجلز اهتمامهما على نحو رئيسي ، الى دراسة  
قوانين تطور الراسمالية وسقوطها ، ليجدا الطريق الى تحرر  
الطبقة الكادحة . فالنظرية الماركسية تضع امامها هدفا مباشرا  
هو الكشف عن كل اشكال الصراع والاستغلال في المجتمع الحديث ،  
ومتابعة تطور هذه الاشكال ، والبرهان على انها ذات طابع انتقالي ،  
وانها لا بد متحولة من شكل الى اخر . وبذلك تخدم هذه النظرية  
الطبقة الكادحة لكي تستطيع ان تتخلص من كل استغلال ، باسرع  
ما يمكن وباسهل ما استطاع . ان نظرية ماركس الاقتصادية هي اذن  
سلاح نضالي هائل في يد الطبقة الكادحة ، من اجل قلب الراسمالية  
وبناء الاشتراكية . عاش ماركس وانجلز وناضلا في عصر لم تبلغ  
تناقضات الراسمالية فيه بعد الدرجة القصوى في تطورها . ولذلك  
لم يكن بوسعهما ان يحللا الظروف الجديدة التي تخلقها الراسمالية  
في المرحلة العليا من تطورها . كان لينين هو الذي حلل قوانين

هذه المرحلة من الراسمالية ، قوانين الاستعمار ، وقد بين لينين  
مستندا الى قوانين تطور الراسمالية التي كشف عنها ماركس ،  
ان الاستعمار هو الراسمالية في حالة النزاع ودور التفسخ ، وان  
ثورة الطبقة الكادحة في مرحلة الاستعمار تصبح ضرورة عاجلة  
ولا بد منها ، وان ظفر الاشتراكية في ظروف الاستعمار يصبح ممكنا  
اول الامر في بلد واحد . وقد زاد لينين في التعمق بكل المسائل  
الاساسية للماركسية ، بما فيها المسائل الاساسية في الاقتصاد  
السياسي ، رابطا اياها بالاهداف الجديدة للطبقة الكادحة الثورية .  
وجاء ستالين فطور الماركسية اللينينية وفقا لاهداف الطبقة الكادحة  
في مرحلة الازمة العامة للراسمالية وبناء الاشتراكية في الاتحاد  
السوفييتي (١) .

(١) ظهر هذا الكتاب ، كما اسلفنا في العقد الخامس من القرن العشرين ،  
وكان يعبر عن الموقف الراهن آنذاك في الاوساط الماركسية اللينينية ، ولاسيما  
في اوروبا .

بيد ان التطور لا يستقر طويلا في موقف معين ، والتناقضات التي تنشأ  
وتتجدد ابدا في المجتمع تستفحل وتلح في طلب حلها . وهي لا بد واجدة حلا على  
يد القوى الجديدة الصاعدة الى الثورة في كل عصر . وقد اخذت التناقضات  
الجديدة تظهر وتستفحل في العالم في عقود السنين الاخيرة ، في المرحلة الجديدة



# فهرست

صفحة	
٦	توطئة
٨	١ - المشاعية البدائية
١٢	انحلال المشاعية البدائية
١٤	أول انقسام للمجتمع الى طبقات
١٨	٢ - نظام الرق
٢٣	انحطاط نظام الرق
٢٨	٣ - الاقطاعية
٣٢	انحطاط الاقطاعية
٣٧	٤ - الرأسمالية
٣٩	التناقض بين القوى المنتجة وعلاقات الانتاج
٤٣	خاتمة : أهمية الاقتصاد السياسي الماركسي

من الأزمة العامة للرأسمالية ، وفي ظروف تعدد واتساع التجارب الاشتراكية بعد الحرب العالمية الثانية ، ولما ظم الثورات الشعبية التحررية في « منطقة العواصف الثورية » - آسيا وأفريقية وأمريكا اللاتينية . وتنضوي هذه التناقضات الى قنيتين رئيسيتين مختلفتين من حيث طبيعتهما :

(١) التناقضات بين المضطهدين والمضطهدين ، بين الشعوب والطبقات الثورية من جهة ، وبين الطبقات الرجعية الحاكمة من الجهة الأخرى . (٢) التناقضات في وسط الشعب ، وفي صفوف الثورة ، وفي غضون المجتمع الاشتراكي .

★ ★ ★



## الكتبة الاشتراكية

### صدر منها :

- ١ - الماركسية والقضايا طم اللغة - ستالين ١٢٥
  - ٢ - القضايا الاقتصادية للاشتراكية في الاتحاد السوفياتي ستالين ٢٠٠
  - ٣ - المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية - ستالين ١٥٠
  - ٤ - أسس اللينينية - ستالين ٢٥٠
  - ٥ - حول مسائل اللينينية - ستالين ١٥٠
  - ٦ - البيان الشيوعي - ماركس وإنجلز ١٥٠
  - ٧ - دور الأفكار التقدمية في تطور المجتمع - كونستانتينوف ٢٥٠
  - ٨ - الطبقة والامة - غليزرمين ٧٥
  - ٩ - لمحة من تطور المجتمع منذ بدء التاريخ - سيفال ١٢٥
  - ١٠ - اصلاح اجتماعي أم ثورة - روزا لوكسمبورغ ١٠٠
  - ١١ - حول تاريخ تطور الفلسفة - جدانوف ١٠٠
  - ١٢ - الدكتاتورية الديمقراطية الشعبية - ماوتسي تونغ ٦٠
  - ١٣ - الوضع الراهن ومهمتنا - ماوتسي تونغ ٧٥
  - ١٤ - تقرير الى الدورة العامة الثانية للجنة المركزية المنبثقة عن المؤتمر الوطني السابع للحزب الشيوعي الصيني - ماوتسي تونغ ٧٥
  - ١٥ - القضايا الاساسية للماركسية بليخانوف ٣٠٠
  - ١٦ - دور العنف في التاريخ - إنجلز ٣٠٠
  - ١٧ - لودفيج فيورباخ ونهاية الفلسفة الكلاسيكية الالمانية ٢٥٠
- ماركس وإنجلز



« اعلم أن اختلاف الاجيال في احوالهم انما هو باختلاف نحلتهـم  
من المعاش . »

( عبد الرحمن خلدون )

« ان العلاقات الاجتماعية مرتبطة ارتباطا وثيقا بالقوى المنتجة .  
وعندما يحصل الناس على قوى منتجة جديدة ، يفرون أسلوبهم في الانتاج ،  
وبتغييرهم أسلوب الانتاج ، أي بتغييرهم طرق كسب معيشتهم ، يفرون كل  
علاقاتهم الاجتماعية . فالطاحونة الهوائية تعطيك مجتمع السيد الاقطاعي ،  
والطاحونة البخارية تعطيك مجتمع الرأسمالي الصناعي . » (كارل ماركس)  
« ان الانتاج الاقتصادي ، والبناء الاجتماعي الذي ينشأ عنه  
بالضرورة ، يؤلفان ، في كل عهد تاريخي ، أساس التاريخ السياسي والفكري  
لهذا العهد ... وبالتالي ، فكل التاريخ ، منذ انحلال ملكية الارض المشاعية  
البدائية ، هو تاريخ صراع بين الطبقات ، صراع بين طبقات مستقلة وطبقات  
مستقلة ، بين طبقات مسودة وطبقات سائدة . »

( فريدريك انكلز )

احس ابن خلدون منذ القرن الرابع عشر ، بتجربته السياسية  
الواسعة وبفكره المبكر الثاقب ، بالموضوعية الاساسية في المادية  
التاريخية . وقام ماركس وانكلز في القرن التاسع عشر ، بتأسيس نظرية  
المادية التاريخية . وعلى ضوءها فان التاريخ لكي يفدو علما حقيقيا ، يجب  
الا يقتصر على أعمال الملوك والحكام وقادة الجيوش ، بل يجب أن يهتم  
قبل كل شيء ، بتاريخ منتجي الحوائج المادية ، تاريخ الجماهير الكادحة ،  
تاريخ علاقات الانتاج بين المستغلين والمستغلين في كل عهد .  
ان هذا الكتيب هو عرض موجز للمراحل الرئيسية في تاريخ  
المجتمع البشري ، على ضوء نظرية المادية التاريخية .

## النشر والتوزيع في الاقطار العربية

بيروت - شارع سوريا - بناية صمدي وصالحة ص.ب ٨٧٢٧  
دمشق : شارع بورسعيد هاتف ١١١.٢٢

السعر ٢ ل.س